مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

تنمر الطلبة على بعضهم في نظام المدارس النحويّة في بغداد العباسيّة (القرنان 10-12) التنافس العلميّ كأداة قهر اجتماعيّ

Peer Bullying among Students in the Grammatical School System of Abbasid Baghdad (10th–12th Centuries): Scholarly Rivalry as a Mechanism of Social Subjugation

عبدالقادر إبراهيم عبدالله هوتي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية – جامعة كلباء
Hotiuae@hotmail.com

الارسال: 12/08/2023 القبول :06/12/2024 النشر:05/12/2025 المرسل: عبدالقادر إبراهيم عبدالله هوتي

Abstract

This study explores the phenomenon of bullying among students in the grammatical schools (madāris al-naḥw) of Abbasid Baghdad during the 10th to 12th centuries CE, through a sociological-historical approach grounded in the analysis of classical Arabic texts. It aims to investigate how scholarly rivalry occasionally transformed into a means of producing symbolic domination and social subjugation—particularly through linguistic critique, mockery of grammatical performance, and discrimination based on class or geographic origin. The study employs a critical-analytical methodology that combines close textual readings of historical and literary sources with a sociological lens designed to deconstruct the internal dynamics of student relationships during this period.

Keywords: Baghdad; grammatical schools; bullying; scholarly rivalry; social subjugation.

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة التنمّر بين طلبة المدارس النحويّة في بغداد العباسية خلال القرنين العاشر والثاني عشر الميلاديين، من خلال مقاربةٍ سوسيولوجيّة-تاريخيّة، تستند إلى تحليل النصوص التراثيّة، ويهدف إلى استكشاف مدى تحول التنافس العلميّ في بعض الأحيان إلى وسيلةٍ؛ لإنتاج التسلّط الرمزيّ والقهر الاجتماعيّ، ولا سيما من خلال النقد اللغويّ، والسخرية من الأداء النحويّ، والتمييز على أساس الانتماء الطبقيّ أو الجغرافيّ. ويعتمد البحث على منهج تحليليٍّ نقديٍّ، يجمع بين القراءة النصيّة للمصادر التاريخيّة والأدبيّة، والرؤية الاجتماعيّة التي تسعى إلى تفكيك الديناميكيات الداخليّة للعلاقات الطلابيّة في تلك الحقبة.

الكلمات المفتاحية: بغداد؛ المدارس النحويّة؛ التنمّر؛ التنافس العلميّ؛ القهر الاجتماعيّ.

مقدمة

العرض :

1. مقدمة:

شهدت بغداد في العصر العباسيّ، ولا سيما خلال القرنين العاشر إلى الثاني عشر الميلادي ازدهاراً علميّاً وحضاريّاً، جعلها مركزاً فريداً للمعرفة في العالم الإسلاميّ، وكانت المدارس النحويّة من أبرز المؤسسات العلميّة التي ازدهرت آنذاك، وأسهمت في صياغة التراث اللغويّ العربيّ وتعليمه. وقد ارتبطت هذه المدارس غالباً بصورةٍ مثاليةٍ، تُبرز التفوق العلميّ، والجدال المعرفيّ الراقي، والمنافسة الفكريّة البنّاءة.

غير أنّ العودة إلى بعض المصادر التراثيّة، ولاسيما كتب الطبقات، والنوادر، والأدب، تكشف عن مظاهر توترٍ اجتماعيٍّ داخل تلك البيئات التعليميّة. حيث برزت أشكال من السخرية، والتقليل من الآخرين، بل والإقصاء أحياناً، مارَسَها بعض الطلبة ضد زملائهم، تحت غطاء التفوق العلميّ والنّقد اللغويّ. في هذا الإطار، يسعى هذا البحث إلى تحليل تلك الظاهرة بوصفها شكلاً من أشكال التنمّر داخل الحقل التعليميّ النحويّ، عبر دراسة العلاقة بين التنافس المعرفيّ وآليات القهر الاجتماعيّ في سياق الحضارة العباسيّة.

مشكلة البحث

تتأسس إشكالية هذا البحث على مفارقةٍ مفادها أنّ البيئات التعليميّة، التي يُفترض أن تكون حاضنةً للمعرفة والتسامح والنمو الفكريّ، قد تنطوي في بعض الأحيان على مظاهر إقصاءٍ اجتماعيٍّ وسلوكيات تنمّر بين الطلبة، خاصةً في ظلّ التنافس المعرفيّ الحادّ. وبالاستناد إلى بعض الشواهد التراثيّة، تُثار تساؤلات حول طبيعة العلاقات الطلابيّة في المدارس النحويّة العباسيّة، وحول ما إذا كان التميز اللغويّ، قد استُخدم كأداةٍ للهيمنة أو التحقير، والسؤال المركزي: ما مدى حضور مظاهر التنمّر بين الطلبة في المدارس النحويّة ببغداد العباسية؟ وكيف ساهم التنافس العلميّ في إنتاج أو تعزيز أنماط من القهر الاجتماعيّ؟

أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة في إلقاء الضوء على بُعدٍ اجتماعيٍّ، لم يحظَ باهتمامٍ كافٍ في الدراسات التاريخيّة التي تناولت النظام التعليميّ في العصر العباسيّ، فهي لا تسعى إلى نفي الدور العلمي المرموق الذي اضطلعت به المدارس النحويّة، بل إلى تقديم قراءةٍ موازيةٍ، تُبرز التوترات الاجتماعيّة التي قد تتولد ضمن فضاءات التعلّم، خاصة تلك المرتبطة بالتنافس والتراتبيّة. كما تتيح هذه

المقاربة ربط الماضي بالحاضر، من خلال مقاربةٍ تاريخيّةٍ لظاهرة لا تزال حاضرةً في البيئات التعليميّة المعاصرة، وهي التنمّر.

أهداف البحث

- الكشف عن أشكال التنمّر بين الطلبة داخل المدارس النحويّة في بغداد العباسيّة.
- تحليل العلاقة بين التنافس العلميّ وبين بروز أنماط من السلوك التسلّطي أو الإقصائي.
- استكشاف أثر الفوارق الاجتماعيّة والطبقيّة والجغرافيّة في تشكّل علاقات الهيمنة بين الطلبة.
- تقديم قراءةٍ اجتماعيّةٍ نقديّةٍ للسياق التربويّ في الحضارة العباسيّة، تُعيد النظر في الصورة المثالية للمجتمع العلمي.

فرضية البحث

يفترض هذا البحث أنّ التنافس العلميّ داخل المدارس النحويّة في بغداد لم يكن دائماً منافسةً معرفيّةً خالصةً، بل تحوّل، في بعض الحالات، إلى وسيلةٍ لإعادة إنتاج الفوارق الاجتماعيّة داخل الفضاء التعليميّ، وذلك من خلال استخدام أدواتٍ لغويّةٍ بوصفها آليات تنمّر رمزي. ومن ثمّ، فإنّ هذا النمط من التفاعل الطلابيّ، يعكس بنيةً اجتماعيّةً أوسع، يتقاطع فيها العلم بالسلطة الثقافيّة والتمييز الرمزي.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج التحليليّ التاريخيّ، الذي يُعنى بقراءة النصوص التراثيّة ذات الصلة (كتب الطبقات، التراجم، الأدب، والنوادر)، وتحليلها وفق مقارباتٍ سوسيولوجيّة ونقديّة حديثة. كما يُوظَّف تحليل الخطاب لفهم تمثلات التفوق والضعف، والبحث في اللغة بوصفها أداة هيمنةٍ ورمزيةٍ داخل الفضاء التربوي. ويستفيد البحث من مفاهيم مستمدة من علم اجتماع التعليم، خاصة في ما يتعلق بالعنف الرمزيّ، والعلاقات السلطويّة داخل المؤسسات التعليميّة.

2. الإطار النظريّ والمنهجيّ

1.2 . الإطار النّظريّ: العنف الرمزيّ والحقل التعليميّ في منظور بيير بورديو

يرتكز هذا البحث على المنظومة المفاهيميّة التي قدّمها عالم الاجتماع الفرنسيّ بيير بورديو، ولا سيما مفاهيم :الحقل(field) ، ورأس المال الثقافيّ(cultural capital) ، والعنف الرمزي symbolic) .(violenceويُنظر إلى الحقل التعليميّ، وفق بورديو، بوصفه فضاءً اجتماعيّاً، تتداخل فيه علاقات القوة، وتتنازع داخله فئات متعددة على شرعية التمثيل والتفوّق (1).

وفي سياق المدارس النحويّة في بغداد العباسية، يُعاد النظر في التنافس العلميّ ليس باعتباره مجرد تفاعلٍ معرفيٍّ، بل كآليةٍ لإنتاج وإعادة إنتاج أشكال من التمييز الرمزيّ، تُمارَس غالباً تحت غطاء اللغة والبلاغة والنحو. ويُفترض أن هذا التنافس قد شكّل، في بعض السياقات، أداةً للهيمنة الثقافيّة، وظّفها بعض الطلبة لترسيخ فوارق اجتماعيّة وطبقيّة داخل البيئة التعليميّة، عبر آليات تنمّرٍ لغويٍّ، تمثلت في السخرية من الأخطاء النحويّة أو الاحتقار غير المعلن للهجات والعجمة(2).

2.2 المنهجيّة: نقد الخطاب والتحليل السوسيولوجيّ للنّصوص

يعتمد هذا البحث على منهج نقد الخطاب(Critical Discourse Analysis) ، انطلاقاً من كونه أداةً تحليليّةً، تتيح استكشاف العلاقات بين اللغة والسلطة، ولاسيما في الخطابات التي تدّعي الحياد أو العلميّة، وتتم الاستفادة من مقاربات منظّري هذا الاتجاه، خصوصاً نورمان فيركلوف وتيو فان دايك، اللذين بيّنا كيف يُنتج الخطاب بنى سلطوية، تستبطن مواقفَ اجتماعيّة ومصالح طبقيّة(3).

ومن خلال هذا المنهج، يتم تحليل الخطابات التعليميّة في النصوص التراثيّة بعدّها بُنى تمثيليّة، تعبّر عن صراعاتٍ اجتماعيّةٍ داخل الحقل التربويّ، ولاسيما في ما يتعلق ببناء صورة الطالب النموذجي مقابل المُقصى أو المهمَّش. ويستند التحليل إلى القراءة الدقيقة للغة المستخدمة في وصف النحويين والطلبة، وتفكيك آليات التنميط والسخرية والتمييز الكامنة في النصوص (4).

3.2 . حدود التعامل مع النصوص التراثيّة: بين المرجعية والتمثيل

تُعدّ النصوص التراثيّة، وخصوصاً كتب الطبقات والتراجم والنوادر الأدبيّة، مصادر أوليّة حيويّة ؛ للكشف عن ملامح الحياة التعليميّة في العصر العباسيّ، غير أنّ وجب استخدامها بوصفها

معطىً سوسيولوجياً يفرض التعامل معها بحذرٍ منهجيٍّ، بالنظر إلى طبيعتها الخطابيّة وتمثيلاتها الانتقائيّة (5).

وتنبع أبرز تحديات التعامل مع هذه النصوص من الاعتبارات الآتية:

- خضوع العديد منها لاعتباراتٍ بلاغيّةٍ وأدبيّةٍ، قد تُغلّف الوقائع بأساليب فكهيّة أو تهويليّة.
- انحيازها الواضح نحو نخبٍ علميّةٍ معينةٍ، ما يُسهم في تغييب التجربة اليومية لعموم الطلبة.
- اعتمادها على رواياتٍ شخصيّةٍ أو طرائف نوادرية، يصعب التحقق من مصداقيتها التاريخيّة.
- طغيان الصورة المثالية للنحوي، التي قد تحجب مظاهر الصراع أو الإقصاء الاجتماعيّ(6).

ولذلك، فإنّ هذه النصوص لا تُقرأ بوصفها وثائقَ تاريخيّة محضة، بل باعتبارها تمثيلاتٍ رمزيّةٍ، تعكس الوعي الجمعيّ والنظام القيميّ والمعرفيّ للمجتمع العلميّ في حينها. ويتم تناولها بوصفها خطاباتٍ مشروطةٍ بسياقها الاجتماعيّ والثقافيّ، تتيح استنباط ديناميكيات التسلّط والتراتبية داخل المجال التربويّ العباسيّ.

3. المؤسسة النحويّة في بغداد: البناء والتراتبية

3.1. الهيكلة التعليميّة للمؤسسة النحويّة

اتّسمت المدارس النحويّة في بغداد زمن الدولة العباسية في فترة القرنين العاشر إلى الثاني عشر الميلادي ببنيةٍ تعليميّةٍ مرنةٍ، ولكن ذات طابعٍ مؤسسيٍّ واضحٍ، تمثّلت أساساً في الحلقات العلميّة التي انتظمت حول شخصياتٍ علميّةٍ مرموقةٍ. وقد جرت العادة أن تنعقد هذه الحلقات في المساجد، أو البيوت الخاصة، أو في مجالس العلماء، حيث يُقدّم الشيخ مادته العلميّة، ويقوم الطلبة بالتلقي والمناقشة (7).

ورغم افتقار هذه الحلقات إلى البنية النظاميّة الصارمة، فإنّها شهدت تشكل تراتبيّةٍ داخليّةٍ واضحةٍ، تجلّت في تمايز الأدوار بين الشيخ، والطلبة المخضرمين، والمبتدئين. هذه التراتبية، لم تكن

معلنةً بالضرورة، لكنّها تُستبطَن من خلال قواعد التعامل، وأسبقية الكلام، ومكان الجلوس، وأشكال التفاعل. وبهذا المعنى، فإنّ المؤسسة النحويّة، كانت تُعيد إنتاج نظم الهيمنة الرمزيّة داخل إطارها الخاص، وفق تصنيفاتٍ ضمنيّةٍ، تستند إلى الأداء العلميّ والمكانة الاجتماعيّة (8).

2.3 التفوق العلميّ بين التحصيل والرمزيّة

تجاوز مفهوم التفوق في البيئة النحويّة حدود التحصيل المعرفيّ التقليديّ إلى أبعاد أكثر رمزيةً، حيث لم يُقَم التميّز على أساس الكم المعرفيّ وحده، بل على امتلاك مهارات الخطاب، وسرعة البديهة، والتفوق في الجدل. وتشير النصوص التراثيّة إلى أنّ النبوغ النحويّ، كان يُقاس بقدرة الطالب على إفحام خصومه في المناظرات، وإظهار التمكن من دقائق الخلافات النحويّة، واستدعاء الشواهد الشعريّة والنصوص بإتقانٍ (9).

وقد أدّى هذا التصوّر للتفوق إلى بروز شكلٍ من الهرمية التعليميّة غير المعلنة، حيث يحتل بعض الطلبة موقعاً مميزاً داخل الحلقة، ليس فقط بسبب كفاءتهم العلميّة، بل بسبب قدرتهم على فرض حضورهم الرمزيّ في المجلس. وبالمقابل، قد يُقصى أو يُهمَّش طلبة آخرون، إمّا لعجزهم عن مجاراة هذا النمط من التفاعل، أو لانتمائهم الاجتماعيّ أو الجغرافيّ المختلف، أو لافتقارهم إلى الأدوات الرمزيّة المعترف بها في المجال (10).

3.3الجدارة والهيبة: السلطة الرمزيّة للنحوي

تُشكّل مفاهيم الجدارة والهيبة ركيزتين أساسيتين في بناء المكانة العلميّة داخل الحقل النحويّ العباسيّ، فقد تجاوزت الجدارة معناها المعرفيّ الصرف؛ لتغدو مرتبطةً بما يُعرف عند بيير بورديو برأس المال الرمزيّ، أي ذلك الشكل من السلطة الذي يستمد مشروعيته من الاعتراف الجماعيّ، لا من مجرد الكفاءة الفرديّة (11).

وقد اكتسب بعض النحويين منزلةً خاصةً داخل المشهد التعليميّ، مكّنتهم من احتكار الخطاب، وتوجيه النقد، وفرض معايير التفوق. هذا الاعتراف لم يكن وليد الأداء الفردي فحسب، بل تكرّس اجتماعيّاً من خلال سلوكيات الآخرين في المجلس: سكوتهم، تأييدهم، أو تردّدهم في المعارضة. وبالتالي، فإنّ الهيبة لم تكن صفةً ذاتيةً، بل نتاجاً تفاعليّاً بين الشخص ومحيطه المعرفيّ والاجتماعيّ (12).

ويترتب على ذلك أنّ المؤسسة النحويّة، وإن كانت ظاهراً مجالاً علميّاً صرفاً، إلّا أنّها كانت في الواقع فضاءً للتموقع الرمزي، تتداخل فيه المعرفة بالسلطة، والجدارة بالهيمنة، والتفوق العلميّ بأشكالٍ دقيقةٍ من الإقصاء الرمزي.

4. سلوكيات التهكّم والازدراء في رو ايات المؤرخين

تشير الروايات التي دوّنها مؤرخو الثقافة العباسيّة، مثل: الخطيب البغدادي، وابن الجوزي، والذهبي . إلى أنّ الفضاءات التعليميّة، ولا سيما المجالس النحويّة، لم تكن مجرد ساحاتٍ للجدال العلميّ والتعلّم، بل مثّلت فضاءاتٍ، لصراعٍ ناعمٍ على الهيبة والمكانة، استُخدمت فيه اللغة أداةً للتمييز والهيمنة. وفي هذا السياق، يُلاحظ حضور متكرّر لأشكال من السخرية والتهكّم والازدراء، سواء في وصف المؤرخين لبعض الطلبة، أو في نقلهم لردود الأفعال داخل المجالس العلميّة (13).

1.4 الخطاب التاريخيّ كمرآةٍ لآليات الهيمنة الرمزيّة

لا تُقرأ نصوص المؤرخين هنا باعتبارها وثائق حيادية، بل بوصفها إنتاجاً رمزيّاً، يعكس تصوّرات المجتمع العلميّ حول الجدارة، والضعف، والانتماء. فالتهكم في كثير من هذه الروايات يتجاوز البعد الطريف أو العارض، ليُعبّر عن آلية لفرز المتعلّمين، وترسيخ الحدود بين من يُعترف بكفاءته ومن يُقصى عن فضاء المشروعية الرمزيّة(14).

2.4 أمثلة تحليليّة من المصادر

- **الخطيب البغدادي، في تاريخ بغداد**، يورد قصصاً لطلبة تعرّضوا للتندّر بسبب أخطاءٍ لغويّةٍ، أو لعدم توافق نطقهم مع ما يُعد فصاحة معيارية. الضحك الجماعيّ أو التعليقات الحادّة في الرواية، لا تُشير فقط إلى رد فعل، بل إلى ممارسةٍ مقوننةٍ؛ للتقليل من شأن الآخر داخل المجلس العلميّ (15).

- **ابن الجوزي، في المنتظم**، ينقل حوادث يتعرّض فيها بعض المتعلمين لوصفهم بالغباء أو قلة الفهم من قبل شيوخهم، أحياناً علناً، ما يشير إلى استخدام النقد الحاد كوسيلة للضبط لا للتقويم، وبما يخدم إعادة إنتاج التراتبية بين الشيخ وطلابه (16).

- **الذهبي، رغم نزعته التوثيقيّة**، يعرض في سير أعلام النبلاء نوادر عن طلبة نُظر إليهم كموضع سخرية بسبب ركاكة التعبير أو العجمة، ما يبيّن بوضوح مدى تأثير الأداء اللغويّ في تصنيف المتعلمين داخل الهرم الرمزيّ للمعرفة **(17)**.

3.4 السخرية كأداة تنمّر تربوي

يُفهم هذا الخطاب التهكّمي، من منظورٍ سوسيولوجيّ بوصفه نوعاً من العنف الرمزيّ الذي يُمارَس داخل المؤسسة التعليميّة، ويُشرعن من خلال آليات القبول الاجتماعيّ. فالتهكم، وإن بدا في ظاهره ترفاً سرديّاً أو نكتةً عابرةً، يؤدّي وظيفةً مزدوجةً: تثبيت التفوّق من جهةٍ، وتهميش الضعيف أو الغريب من جهةٍ أخرى. وهو ما يتقاطع مع مفهوم التنمّر الرمزيّ، حيث لا تُستخدم القوة الجسديّة أو المباشرة، بل تُمارَس الهيمنة من خلال الكلمة، والنبرة، والنكتة اللغويّة(18).

4.4 إعادة تأويل الظاهرة

إنّ تحليل هذه الروايات يكشف أنّ البيئة النحويّة لم تكن محايدةً، بل كانت تُنتج . في بعض حالاتها ديناميكياتٍ تنافسيّةً، تقوم على الاستبعاد الناعم والتمييز الثقافيّ، عبر لغةٍ، تتخفّى خلف دعوى التفوق العلميّ.

ومن ثمّ، فإنّ قراءة هذه النصوص التاريخيّة في ضوء مفاهيم بورديو حول الرأسمال الرمزيّ والعنف الرمزيّ، تُبرز كيف ساهم الخطاب العلميّ ذاته في تشكيل علاقات القوة والتمييز داخل الفضاء التربويّ العباسيّ.

5. التنمّر الأكاديميّ كأداة قهرٍ رمزيٍّ

في سياق المدارس النحويّة في بغداد العباسية، لا يظهر التفوق العلميّ بوصفه نتاجاً لمهارات معرفيّةٍ خالصةٍ فحسب، بل يرتبط أيضاً بمنظومةٍ اجتماعيّةٍ، تحكمها التراتبية الرمزية وأساليب التمايز. ومن هذا المنظور، يمكن النظر إلى بعض الممارسات الطلابيّة داخل الحقل التعليميّ بوصفها تنمّراً أكاديميّاً، تُوظّف فيه أدوات لغويّة وسلوكيّة بغرض الإقصاء أو الحطّ من مكانة الآخر، ولاسيما حين يكون ذلك الآخر أقلّ رسوخاً في رأس المال الرمزي السائد (19).

1.5 آليات القهر الرمزيّ

يتجسّد التنمّر الأكاديميّ في عددٍ من الممارسات المتكررة التي لا تستند إلى العنف المباشر، بل إلى القوة الرمزيّة التي تُمارَس داخل بنيةٍ تعليميّةٍ، تشرعن الإقصاء باسم المعرفة أو التهذيب:

- **التهكم اللغويّ** :تتكرّر حالات السخرية من الأخطاء النحويّة أو العُجمة في المصادر التراثية، وغالباً ما تُقدَّم بأسلوبٍ، يُظهر الطالب موضوعاً للفكاهة أو النقد الحاد. إلاّ أنّ هذا التهكّم، لا يعبّر فقط عن حسٍّ نقديٍّ، بل يُمارَس بوصفه أداة تقليص لمكانة المتلقي أمام الجماعة التعليميّة.

- **الإقصاء من المناظرات** :كان يُستبعد بعض الطلبة من المشاركة في المجادلات العلميّة، إمّا صراحةً أو ضمنًا، عبر إهمال مشاركاتهم أو تقليل قيمتها. ويُعدّ هذا الإقصاء وسيلةً للحفاظ على بنية السلطة داخل الحلقة العلميّة، حيث يحتكر المعترف بهم حقّ الحديث والردّ.

- **كسر الطالب** :تُشير بعض الروايات إلى ممارساتٍ، تهدف إلى إضعاف ثقة المتعلم بنفسه أمام الآخرين، من خلال التوبيخ العلني، أو تصيّد الزلات، أو نقد الأداء بطريقةٍ، تتجاوز حدود التقويم العلميّ إلى الإذلال الرمزيّ.

2.5.التنمّر كوظيفةٍ ثقافيّةٍ في المجال التربويّ

لا يمكن فهم هذه السلوكيات بوصفها انزلاقاتٍ عرضيّةٍ، بل ينبغي تأطيرها ضمن بنيةٍ أوسع، تؤسس لتفاوتاتٍ رمزيةٍ داخل الفضاء التعليميّ. فالتنمّر الأكاديميّ، كما يكشف تحليل الروايات التاريخيّة، كان أحياناً بمثابة أداةٍ؛ لتثبيت الحدود بين المتميّزين والهامشيين، ولإعادة إنتاج الهيبة ضمن المجال التربويّ، وغالباً ما ترتبط هذه الديناميات بعوامل أخرى مثل: الانتماء الطبقيّ، أو الجغرافيّ، أو المهاري، ممّا يكشف عن تعقيد المشهد التعليميّ بوصفه حقلاً للصراع الرمزيّ لا مجرد فضاء للنقل المعرفيّ (20).

3.5 استثمار بورديو: العنف الرمزيّ في المدرسة النحويّة

في ضوء نظرية بورديو حول العنف الرمزي، يتضح أنّ هذه الممارسات لا تُمارَس بقوةٍ قسريةٍ، بل من خلال آلياتٍ، تبدو شرعية في السياق العلميّ. فاللغة، والمناظرة، والنقد، تتحول من أدوات تعلّم إلى أدوات ضبط وتطويع، يُعاد عبرها إنتاج السلطة الثقافيّة والتراتبية بين الطلبة. وبذلك، تصبح

المدرسة النحويّة ليست فقط موقعاً لبناء الرأسمال المعرفيّ، بل أيضاً لتمثيل التفاوتات الاجتماعيّة في لبوسٍ تعليميٍّ مقبولٍ (21).

3. تحليل النتائج:

يُظهر هذا البحث أنّ البيئة التعليميّة في المدارس النحويّة في بغداد العباسية خلال القرنين العاشر إلى الثاني عشر الميلادي، لم تكن مجرد فضاءٍ معرفيٍّ خالصٍ، بل كانت حقلاً اجتماعيّاً، تتشابك فيه علاقات السلطة والهيمنة الرمزية. وقد أفضى تحليل الخطابات التراثية من كتب التراجم والنوادر إلى النتائج التالية:

1.تحول التنافس العلمي إلى أداة للهيمنة الرمزية: لم يكن التفوق النحوي مقتصراً على المعرفة الصرف، بل ارتبط بقدرات الخطاب، وسرعة البديهة، والانتماء الطبقي أو الجغرافي، ممّا جعل من التميز العلمي وسيلة لإقصاء من لا يمتلكون رأس المال الرمزي المقبول.

2.مأسسة التنمر الأكاديميّ داخل الحلقات العلميّة: كشفت الروايات عن ممارسات متكررة من التهكّم اللغوي، والإقصاء من المناظرات، وتعمّد كسر ثقة الطلبة، مما يشير إلى تنمّرٍ أكاديميٍّ ممنهجٍ، اتخذ طابعاً. مقبولاً داخل السياق التعليميّ.

3.إعادة إنتاج التراتبية الاجتماعيّة في السياق التربويّ: أبرزت الحلقات العلميّة تراتبية غير مصرح بها، تتحكم فيها آليات الرمز والهيبة، وتعيد إنتاج الفوارق الطبقية داخل المؤسسة التعليميّة، حيث يحتكر المعترف بهم شرعية الحديث والتقويم.

4.الخطاب التعليميّ كأداة ضبطٍ اجتماعيّ : تُظهر النصوص التراثية أنّ النقد اللغوي والسخرية من الأداء لم يكونا مجرد ردود أفعال علمية، بل أدوات لإنتاج العنف الرمزي، تُمارَس تحت غطاء التفوق، وتؤدي وظيفةً تربويّةً-اجتماعيّةً في حفظ النظام الهرمي داخل المجالس التعليميّة.

5.تكريس السلوك التهكّمي كوظيفةٍ ثقافيّةٍ: يُفهم التنمر الأكاديميّ لا كحادثةٍ عرضيةٍ، بل كآليةٍ مهيمنةٍ، تؤدي وظيفةً ثقافيّةً في ضبط الحقل التربوي، وتمييز المقبولين عن المهمّشين، في نظام يُشرعن التفاوتات الرمزية من خلال أدواتٍ معرفيّةٍ ظاهريّاً.

6.تفعيل نموذج بورديو في تحليل الفضاء التعليميّ: بيّن التحليل كيف تُمارَس الهيمنة داخل الحقل النحويّ من خلال عنفٍ رمزيٍّ غير مرئي، تُشرعنه أدوات اللغة والنقد والمناظرة، وهو ما يتوافق مع أطروحات بورديو حول السلطة الرمزية والرأسمال الثقافيّ.

4. الخاتمة:

تُظهر هذه الدراسة أنّ ظاهرة التنمّر بين طلبة المدارس النحويّة في بغداد العباسية لم تكن مجرد سلوكياتٍ عابرةٍ أو فرديّةٍ، بل هي نتاجُ تراكماتٍ اجتماعيّةٍ وثقافيّةٍ داخل الفضاء التعليميّ، فقد كشفت التحليلات أنّ التنافس العلميّ، رغم أهميته في دفع المعرفة وتطوير المهارات، كان في أحيان كثيرة، يُوظّف كأداة قهرٍ رمزيٍّ عبر ممارساتٍ، مثل: التهكّم، والإقصاء من المناظرات، وعمليات كسر الطالب التي تهدف إلى فرض التراتبية داخل المجتمع التعليميّ. وبذلك، تبرز المدارس النحويّة كمؤسساتٍ لا تقتصر على إنتاج المعرفة فقط، بل تشكل فضاءاتٍ؛ لصراع على الهيبة والاعتراف الثقافيّ.

تستفيد هذه الدراسة من الإطار النظريّ لبورديو في فهم العنف الرمزيّ، حيث تتحول آليات الخطاب العلميّ إلى أدواتٍ؛ لإعادة إنتاج الفوارق الاجتماعيّة، مما يعيد تشكيل صورة المدرسة العباسيّة من مكانٍ محايدٍ للعلم إلى ميدانٍ معقدٍ للصراعات الاجتماعيّة والثقافيّة.

5. قائمة المراجع:[1]

1. أحمد بن طولون :**المدارس في بغداد العباسيّة**، جامعة بغداد، 2018
2. الأثير، عزّ الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد: **الكامل في التاريخ**، تحقيق د. فتحي عاشور، دار النشر الإسلامي، المدينة المنورة، 2001
3. آسانوغلو، إكميل الدين :**بيت الحكمة العباسيّ: بين الأسطورة والو اقع**، مطبعة جامعة لندن، 2023م
4. بنعمار، يسمينة؛ بخوش، نجيب :**العنف الرمزي في قياس وتقييم الطلاب**، مجلة حكمة، الكويت، 2022 م.

5. بورديو، بيير :**العنف الرمزيّ**، ترجمة عبد الرحيم أبو زيد، دار الآفاق العربية، بيروت، 2009م.

6. بورديو، بيير :**الحقل والعبث**، ترجمة د. علي جمعة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م.

7. ابن الجوزي :**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تقديم يوسف زيدان، دار الساقي، بيروت، 2003م.

8. الحوراني، محمد :**الثقافة والقوة: علم اجتماع بيير بورديو**، ترجمة ديقيد سوازرت، عمان، دار مجدلاوي، 2015م.

9. الخطيب البغدادي :**تاريخ بغداد**، تحقيق د. يوسف الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

10. دياب، زهية: **قضايا ومفاهيم وسوسيولوجيا التربية في فكر بيير بورديو**، مجلة دفاتر المخبر، المجلد 16، العدد 01، 2021م، ص 10–25 .

11. الذهبي :**سير أعلام النبلاء**، تحقيق لجنة التحقيق بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000م.

12. رشيد، عوني :**دور الحقل التعليميّ في إعادة إنتاج الهيمنة الرمزيّة**، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، 2020م.

13. سعيد، فريد؛ محمود، حاتم :**تنمرٌ لفظيٌّ وثقافيّ في المدارس التاريخيّة**، مجلة الدراسات الإسلامية، القاهرة، العدد 12، 2019م.

14. فياض، علي أسعد :**بيداغوجيا الرمز والعنف الرمزي في منظور بورديو**، الأنطولوجيا، 2009م.

15. فياض، حسام الدين :**العنف الرمزي**، مجلة الجديد، بيروت، 2025م.

16. فيركلوف، نورمان؛ فان دايك، تيو :**نقد الخطاب: نظريات ومناهج**، دار الفكر العربي، دمشق، 2005م.

17. قراينية، وردة :**العنف الرمزي المجتمعي، دلالاته، ومظاهره: قراءة نظرية لأفكار بورديو**، الزهير للدراسات والبحوث الاتصاليّة والإعلاميّة، مج 3، ع 1، 30 يونيو 2023م.

18. مرزق، الطاهر :**قراءة للعنف الرمزي والآليات المدرسية**، مجلة حقائق للدراسات النفسيّة والاجتماعيّة، الجزائر، مج 3، ع 9، مارس 2018م.

19. وطفة، علي أسعد :**الأداء الأيديولوجي للمدرسة في منظور بيير بورديو: العنف الرمزي بوصفه ممارسة طبقية في المدرسة**، العلوم التربوية، جامعة القاهرة، مج 21، ع 1، يناير 2013م.

20. يوسف القفطي :**خزانة كتب الحكمة**، تعليق د. عبد الرحمن الشامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2010م.

6. الملاحق: لايوجد

7. الهوامش:[*]2

1. بورديو، بيير :**العنف الرمزيّ**، ترجمة عبد الرحيم أبو زيد، دار الآفاق العربية، بيروت، 2009، ص 45–60.

2. أحمد بن طولون :**المدارس في بغداد العباسيّة**، جامعة بغداد، 2018، ص 15–30.

3. بنعمار، يسمينة؛ بخوش، نجيب :**العنف الرمزي في قياس وتقييم الطلاب**، مجلة حكمة، الكويت، 2022، ص 165–180

4. مرزق، الطاهر :**قراءة للعنف الرمزي والآليات المدرسية**، مجلة حقائق للدراسات النفسيّة والاجتماعيّة، الجزائر، مج 3، ع 9، مارس 2018، ص 181–188 .

5. الحوراني، محمد :**الثقافة والقوة: علم اجتماع بيير بورديو**، ترجمة ديقيد سوازرت، عمان، دار مجدلاوي، 2015، ص 50–70 .

6. بورديو، بيير :**الحقل والعبث**، ترجمة د. علي جمعة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012، ص 112–130.

7. الأثير، عزّ الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد: **الكامل في التاريخ**، تحقيق د. فتحي عاشور، دار النشر الإسلامي، المدينة المنورة، 2001، ج 6، ص 303–320.

8. آسانوغلو، إكميل الدين :**بيت الحكمة العباسيّ: بين الأسطورة والو اقع**، مطبعة جامعة لندن، 2023، ص 115–130.

9. رشيد، عوني :**دور الحقل التعليميّ في إعادة إنتاج الهيمنة الرمزيّة**، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، 2020، ص 90–120.

10. سعيد، فريد؛ محمود، حاتم :**تنمرٌ لفظيٌّ وثقافيّ في المدارس التاريخيّة**، مجلة الدراسات الإسلامية، القاهرة، العدد 12، 2019، ص 47–65.

11. فياض، علي أسعد :**بيداغوجيا الرمز والعنف الرمزي في منظور بورديو**، الأنطولوجيا، 2009، ص 10–30

[*] التهميش آلي: 1-2-3-4-5....

12. دياب، زهية: **قضايا ومفاهيم وسوسيولوجيا التربية في فكر بيير بورديو**، مجلة دفاتر المخبر، المجلد 16، العدد 01، 2021م، ص 10–25 .

13. قراينية، وردة :**العنف الرمزي المجتمعي، دلالاته، ومظاهره: قراءة نظرية لأفكار بورديو**، الزهير للدراسات والبحوث الاتصاليّة والإعلاميّة، مج 3، ع 1، 30 يونيو 2023، ص 54–68.

14. وطفة، علي أسعد :**الأداء الأيديولوجي للمدرسة في منظور بيير بورديو: العنف الرمزي بوصفه ممارسة طبقية في المدرسة**، العلوم التربوية، جامعة القاهرة، مج 21، ع 1، يناير 2013، ص 3–45 .

15. الخطيب البغدادي :**تاريخ بغداد**، تحقيق د. يوسف الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج 3، ص 221–235.

16. ابن الجوزي :**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تقديم يوسف زيدان، دار الساقي، بيروت، 2003، ج 2، ص 156–168

17. الذهبي :**سير أعلام النبلاء**، تحقيق لجنة التحقيق بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000، جزء 7، ص 98–110.

18. فياض، حسام الدين :**العنف الرمزي**، مجلة الجديد، بيروت، 2025، ص 1–15 .

19. فيركلوف، نورمان؛ فان دايك، تيو :**نقد الخطاب: نظريات ومناهج**، دار الفكر العربي، دمشق، 2005، ص 72–95.

20. يوسف القفطي :**خزانة كتب الحكمة**، تعليق د. عبد الرحمن الشامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2010، ص 77–89.

21. بورديو، بيير :**العنف الرمزيّ**، ترجمة عبد الرحيم أبو زيد، دار الآفاق العربية، بيروت، 2009، ص 62-65